الظواهر الاجتماعية السيئة التي ترتبت علي الانقسامات السياسية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس

(السرقة والتسول نموذجا)

(٤٠٠-٤٧٩هـ / ١٠٠٩-١٠٨٦م)

دكتورة/ إيمان فؤاد علي

مستخلص البحث:

يتناول موضوع البحث ظاهرتي التسول والسرقة في عصر ملوك الطوائف بالأندلس، فقد اتصف هذا العصر بانتشار الفتن والحروب التي بدورها أدت إلى تدهور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، ونتيجة لذلك انتشرت بعض المظاهر السيئة غير المألوفة في المجتمعات الإسلامية وبخاصة في بلاد الأندلس التي عرف أهلها بحب العمل وازدراء من يمتهنون التسول كطريقة لكسب القوت مع قدرته على العمل

وفي هذا البحث تناولنا الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في عصر ملوك الطوائف، مع تسليط الضوء على مفهومي التسول والسرقة من واقع كتب اللغة والفقه والحسبة، ثم انتقلنا إلى عرض ظاهرتي التسول والسرقة من واقع تاريخ عصر ملوك الطوائف، مع اظهار الأسباب التي أدت إلى انتشار تلك الظواهر السيئة .

وفي النهاية قدمنا خاتمة بها أهم النتائج التي خلص إليها بحثنا وقائمة بالمصادر والمراجع.

Begging and Theft in the period of the Taifa Kings in Andalusia (٤٠٠-٤٧٩ H, ١٠٨٦-١٠٠٩AD)

Abstract

The topic of the research deals with a study of the phenomena of begging and theft in the era of the kings of Taifa in Andalusia.Tthis era has been characterized by the spread of seditions, dissension and wars that in turn led to the deterioration of political, economic, social and security life, and as a result, some unfamiliar aspects appeared in Islamic societies, namely, in the countries of Andalusia, whose people knew with hard working and disdain beggary who have begging as a way to earn a living despite their ability to work.

During this research we dealt with the political, social and economic conditions in the era of Taifa kings, and shed light on the concepts of begging and theft from the language, jurisprudence and calculation books, then we moved to present the phenomena of begging and theft from the history of the era of Taifa Kings, with explaining the reasons that led to the spread of these bad phenomena. Finally we presented a conclusion with the most important findings of our study and a list of sources and references.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأمره أن يزكي نفسه بالخلق القويم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الخلق العظيم وسيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تعد ظاهرتي التسول والسرقة من الظواهر العالمية المنتشرة في كل العصور وفي كل الأمكنة ولكن بنسب متفاوتة، بحيث نجد المرء في البلدان سواء المتخلفة أو المتقدمة يستعطف الآخرين بشتى أنواع السبل ليسلب أموالهم، وقد كثرت نسبة التسول والسرقة في الفترات التاريخية التي تسود فيها الحروب والفتن مثل عصر ملوك الطوائف بالأندلس [1]، وفي هذا البحث نسلط الضوء على ظاهرتي التسول والسرقة في فترة ملوك الطوائف بالأندلس، وتكمن أهمية هذا البحث فيما يلي:

- **الأوضاع السياسية في عصر ملوك الطوائف.**
- **الأوضاع الاجتماعية في عصر ملوك الطوائف.**
- **الأوضاع الاقتصادية في عصر ملوك الطوائف.**
- **المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتسول والسرقة.**
- **أسباب انتشار ظاهرتي التسول والسرقة وأثرهم على المجتمع.**
- **تأثير ظاهرتي السرقة والتسول على الأوضاع السياسية والأمنية والاجتماعية والاقتصادية في عصر ملوك الطوائف.**

---

(١) الأندلس: أصل مصطلح الأندلس مأخوذ من اسم قبائل الوندال، التي تعود إلى أصل جرماني، والتي احتلت شبه الجزيرة الإيبيرية في القرن الثالث الميلادي، وقد أطلق الجغرافيون والمؤرخون مصطلح الأندلس على شبه الجزيرة الإيبيرية وهي إسبانيا والبرتغال اليوم، وتقع الأندلس في الجنوب الغربي من القارة الأوروبية، تفصلها عن جنوب فرنسا جبال البرت، ويفصلها من الجنوب عن إفريقية مضيق جبل طارق، وتقع سواحل الأندلس الشمالية والشمالية الغربية على المحيط الأطلسي، وتقع شواطئ الأندلس الشرقية والجنوبية الشرقية على البحر الأبيض المتوسط. انظر: محمود شيت خطاب، قادة فتح الأندلس، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٥٥، ٥٦؛ أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل) ت٧٣٢هـ/١٣٣١م، تقويم البلدان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ج١، ص١٨٨.

أولاً: الأوضاع السياسية في عصر ملوك الطوائف:

يعد الفتح الإسلامي للأندلس في عام (٩٢ه/٧١١م) معلماً حضارياً وحدثاً هاما [١]، ففيه امتزجت حضارات سابقة مع الحضارة الإسلامية، متخذة من الأندلس محطة لنشر هذا الإنتاج الحضاري نحو أوروبا، فقد تعاقبت على إسبانيا قبل الإسلام شعوب عديدة على مر العصور، فقد غزاها الكلتيون في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وهم من السلالات الهندو أوروبية، ونزل الفينيقيون في سواحلها الشرقية في القرن العاشر قبل الميلاد وبنوا فيها عدداً من المدن مثل مالقة وقادوس، وفي القرن الخامس قبل الميلاد بدأت السواحل الشرقية لإسبانيا تتلقى المؤثرات الحضارية اليونانية، في الوقت الذي شرع فيه القرطاجيون في تأسيس إمبراطورية لهم في غرب البحر المتوسط، فاصطدموا باليونانيين وحلوا محلهم، وفي القرن الثالث قبل الميلاد، ظهرت قوة روما التي نازعت قرطاجة على السيادة، وتطورت العلاقات العدائية بين الطرفين إلى حروب طاحنة عرفت بالحروب البونية، ونتج عنها تدمير قرطاجة، وعندما انتشرت النصرانية في أرجاء الإمبراطورية الرومانية تقبلها الإسبان، مما زاد في ترابطهم مع الرومان (٢).

وقد فتح المسلمون الأندلس في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦ه-٩٦ه / ٧٠٥-٧١٥م)، أحد أكثر الخلفاء الأمويين تشجيعاً للفتوحات الإسلامية، غير أن الدولة الأموية في الأندلس لم تتمكن من الاحتفاظ بتفوقها السياسي والعسكري طويلاً، وخصوصاً بعد وفاة المنصور بن أبي عامر في ٣٩٢ه/١٠٠٢م، ثم عبد الملك المظفر في ٣٩٩ه/١٠٠٨م، وانتقال مقاليد الحكم لأحد أبناء هذه الأسرة الضعيفة وهو عبد الرحمن شنجول، لقد أتاح ضعف خلفاء بني أمية الفرصة لحكام الولايات والأقاليم الأندلسية للاستقلال بما تحت أيديهم من مناطق عن سيادة الخلافة الأموية، بعدما عمت الفوضى بالأندلس وسادة حالة من الاقتتال الداخلي على السلطة في حرب أهلية مدمرة سميت بالفتنة البربرية، والتي أدت بدورها إلى انقسام الأندلس إلى عدة ممالك وإمارات، عرفت باسم دولة الطوائف، وفي عصر الطوائف عرفت الأندلس انقساماً خطيراً لم يعرف له مثيل [٣].

لقد سقطت الخلافة الإسلامية في الأندلس بعد أن أصبحت غير قادرة على تكوين جيش ينقذ الدولة ويقضي على كل الثورات والفتن الداخلية، وعمت حالة من

---

(١) عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، ١٩٨٦م، ج١، ص٣٦٢.

(٢) محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمون في الأندلس، دار النفائس، بيروت، ط٣، ٢٠١٠م، ص١٦-١٩.

(٣) محمد حسن العيدروس، العصر الأندلسي تاريخ وحضارة الأندلس: النظم الإدارية في إسبانيا الإسلامية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠١٢م، ص١٣.

الفرقة والتشتت، فبعد أن كانت الأندلس ملتئمة في عقد قرطبة ، غدت حبات متفرقة ، حتي أطلق على هذا العصر عصر الفرق ، حيث تفسخت البلاد وتفرق أهلها شيعاً، واستبد كل أمير بناحيته، فانقطعت الدعوة إلى الخلافة [١].

بعد أن كان للمسلمين في الأندلس جيش واحد قوي، أصبح لهم عدد من الجيوش الضعيفة، وقد تعددت وتباينت أهداف هذه الجيوش بحسب المصالح والوجهات السياسية والعصبية القبلية ، فحين تقاسم ملوك الطوائف ملك الأندلس قسموا وحدة البلاد وجيشها إلى أشلاء عديدة، بدلاً من أن يتحدوا ويكونوا جيشاً واحداً لمواجهة الخطر النصراني المتربص، فقد أنشأ ملك كل طائفة نظاماً سياسياً وجيشاً خاصاً به يخدم أهدافه التي جاءت في كثير من الأحيان بالتوسع على حساب الممالك الإسلامية المجاورة، وتاريخ ملوك الطوائف مليء بالمعارك التي تنشب بين الجيران والأقارب وربما بين الآباء وبنيهم فضلاً عن قيام النصاري بشن الحروب علي المسلمين .. تلك الحروب التي دامت عشرات السنين أكلت خلالها الأخضر واليابس [٢].

ونستطيع القول أنه بسقوط الخلافة الإسلامية في الأندلس ، عمت حالة من الفرقة والتشتت، واستبد كل أمير بناحيته [٣]، حتي أنه قد وصلت هذه العائلات الحاكمة في الأندلس إلى أكثر من ٢٠ عائلة، كان من أهمها:

- **بني عباد اللخميين بإشبيلية (٤١٤-٤٨٤ه / ١٠٢٣-١٠٩١م)**

أسس إسماعيل بن محمد بن عباد مملكته بعد إلغاء الخلافة الأموية في الأندلس [٤]، وهم من قبيلة لخم اليمنية، وقد تولى إسماعيل بن عباد قضاء إشبيلية وقام بتيسير شؤونها أثناء الفتنة، لكن إسماعيل بن عباد بسبب تقدمه في السن لم يستمر في حكم إشبيلية، فولي مكانه ولده أبا القاسم محمد بن إسماعيل [٥]

، وقد حققت مملكة بنو عباد قمة مجدها في عهد المعتمد بن عباد الذي تزخر المصادر الأندلسية بذكره، حيث اتبع سياسة التوسع على حساب الممالك المجاورة له، حتى صار ملكه يمتد من شرقي الوادي حتى المحيط الأطلسي غرباً والجزيرة

(١) أبو مروان عبد الملك بن محمد ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١، ص٧٧، ٧٨.

(٢) أحمد بن صالح السحيباني، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم: عصر ملوك الطوائف في الأندلس، مجلة البيان، الرياض، ٢٠٠٢م، ص١٦١، ١٦٢.

John tonal, Europe and the Islamic World: A History, Princeton: Princeton University press, ٢٠١٣, p٣٩-٤٠

(٣) Lévi-Provençal (E.). L'Espagne musulmane au Xe siècle. Larose, Paris, ١٩٣٢, p١٢٢

(٤) محمد بن عبود، التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف، مطابع الشويخ تطوان، المغرب، ١٩٨٣م، ص٢٥

(٥) محمود علي مكي، تاريخ الأندلس السياسي: دراسة شاملة في الحضارة العربية الإسلامية في الاندلس، دار الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م، ص١٠٠.

الخضراء جنوباً، وتعتبر هذه المملكة من أهم وأقوى ممالك الطوائف وأعظمها شأناً وزعامة [١].

- **بني جهور في قرطبة (٤٢٢-٤٤٩ه / ١٠٣١-١٠٧٠م)**

حكم هذا البلد آل جهور، وكانوا أول من شارك في فكرة إلغاء الخلافة الأموية ، وتولى جهور بن محمد حكم قرطبة، وفي عهده كرس نفسه لخدمة البلاد، فاستقرت الأوضاع الاقتصادية ، مما مهد الطريق لخليفته لحكم دولة قوية، وحكم بعد وفاة **جهور بن محمد والد الوليد** الذي حكم قرطبة لمدة ١٣ عامًا، وقد أراد الأخير بسط السلطة في قرطبة بالوراثة [٢].

- **بني حمود الحسينيون بمالقة (٤٠٧-٤٤٩هـ / ١٠١٦-١٠٥٧م)**

بلغ عدد أمرائها تسعة، أولهم علي بن حمود، الذي تلقب بالناصر، واتخذوا من مالقة عاصمة لهم، واستقطبوا بربر الأندلس حولهم [٣].

- **بني زيري الصنهاجيون بغرناطة (٤٠٣-٤٨٣هـ / ١٠١٢-١٠٩٠م)**

وينسبون إلى زيزي بن عطية بن عبد الرحمن، وقد نظمت هذه المملكة من طرف حبوس بن ماكس الذي اتبع سياسة التوسع على حساب الممالك المجاورة، فدخلت في صراع مع مملكة بني عباد.

- **بني هود الجذاميون بسرقسطة (٤٠٨-٥٠٣ه – ١٠١٧-١١١٠م)**

تولوا الحكم بعد زوال دولة التجيبيين التي كانت تحكم سرقسطة قبل انفجار الفتنة بقيادة سليمان بن محد بن هود، وهناك من يرى أن بني هود كانوا امتداداً لحكم التجيبيين [٤].

- **بني رزين بشنتمرية (٤٠٣ -٤٩٧هـ / ١٠١٢ – ١١٠٤م)**

ينتسبون إلى هوارة وجدهم أبي رزين البرنسي أحد قادة البربر، وتقع إمارة بني رزين على سهل بسيط وخصب من الأرض، يقع في جنوبي الثغر الأعلى، وفي شمال شرقي الثغر الأوسط، وبعد الفتنة استقلوا بشنتمرية وقد شهدت دولتهم انهياراً في عهد ابن رزين يحيى بن عبد الملك بن هذيل الملقب بحسام الدولة، وقد كان سكيراً ضعيف العقل [٥].

(١) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب) ، البلدان، تحقيق: محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص١٩٤.

(٢) أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ، ص٢٥٥.

(٣) أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٥٦.

(٤) أبي عبد الله محمد بن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م، ص١٧٠، ١٧١.

(٥) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٥٣.

- **بني ذي النون بطليطلة [١] (٤٢٨ -٤٧٨هـ/ ١٠٣٦-١٠٨٥م)**

ينتمون إلى قبيلة هوارة البربرية البرنسية وقد اشتق اسم بني ذي النون من اسم جدهم زنون الذي حرف اسمه إلى ذي النون، ومؤسس هذه المملكة هو إسماعيل بن ذي النون، وقد ساس أهل مملكته سياسة استقاموا عليها، واسترشد في أموره بشيخ البلدة أبي بكر ابن الحديدي، وكان من أهل العلم والدهاء، فكان إسماعيل لا يقطع أمراً دونه [٢].

ولأن هؤلاء الملوك كانوا من ذوي الاتجاهات الطائفية السياسية التي اتسمت بالعداء وإراقة الدماء ، وجشع القوي للسيطرة علي الضعيف، فقد اطلقوا مفاهيم الوطنية، والعنصرية والطائفية والقبلية في الأندلس ، ورغب كل منهم في السيطرة على جزء من الأراضي الخاضعة لغيره ، حتي انهم تنازعوا بينهم ألقاب الخلافة الأموية ، فبعضهم تسمَّى (المتعدد) ومنهم من تسمَّى (المأمون) وآخر (المستعين) و (المعتمد) و (الموفق) واتخذوا ألقاباً أخرى مثيرة للجدل عكست حالة التفكك والضعف والانقسام، لذلك لم تصمد ملوك طوائف أمام الهجوم الموحد من قبل المسيحيين الذين وحدوا قواتهم وحققوا حلمهم في استعادة البلاد من المسلمين [٣]، وقد وصف الشاعر حال ملوك الطوائف بقوله:

ممـــا يزهـــدني فـــي أرض أنـــدلس أســـماء مقتـــدر فيهـــا ومعتـــضد

ألقـــاب مملكـــة فـــي غيـــر موضـــعها كـــالهر يحكـــى انتفاخـــاً صـــولة الأســـد [٤].

ولأن دولة ملوك الطوائف قامت على أسس التمييز والمنافسة والصراعات الداخلية والخارجية، فداخلياً كانت أغلب الولايات تحكم بشكل وراثي ، مما خلق مشكلة الصراع علي الحكم ، وخارجياً زادت المنافسة بين هذه الدول- بعائلاتها الحاكمة المختلفة - وظهر طموح كل منهم في السيطرة على الولايات المجاورة، وعلي سبيل المثال طموح إشبيلية في السيطرة على قرطبة ، مما يسهل على المملكة المسيحية السيطرة على الدول الطائفية؛ لأن الدولة قد استُخدمت من قبل الأسرة الحاكمة ولكل دولة مذهب في التعامل مع الحاكم المسيحي لمساعدته على محاربة البلدان التي يتنازع

(١) طليطلة: هي مدينة أندلسية كبيرة ذات خصائص محمودة، وتقع غربي ثغر الروم وبين الجوف والشرق من قرطبة وكانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قرارهم، وهي على شاطئ نهر تاجه. انظر: الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الرومي) ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٤، ص٣٩، ٤٠.

(٢) أبي عبد الله محمد بن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص١٧٧.

(٣) أحمد بن صالح السحيباني، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم: عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص١٠٣.

(٤) شهاب الدين أبو عبد الله، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار الغرب الإسلامية، بيروت، ١٩٩٣م، ج٦، ص٢٦٣٧.

معها أو يحاول السيطرة عليها، وقد كانت حالة ملوك الطوائف الاقتصادية تضعف تدريجياً؛ لأن كل دولة تستهلك مواردها الاقتصادية في حروب داخلية مع دول أخرى وتحالفات مع ممالك مسيحية، وفي نهاية الأمر سيطرة آخر معقل للمسلمين في الأندلس، وهي غرناطة التي حكمها بنو الأحمر من ٦٢٩هـ/١٢٣٢مـ إلى ٨٩٧هـ/١٤٩٢م [١].

وقد وصف ابن حزم حال ملوك الطوائف بقوله: (فضيحة لم يقع في العالم إلى يومنا مثلها، أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها .. كلهم يتسمى بإمرة المؤمنين، ويخطب لهم بها في زمن واحد، ... والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم .. يحملونهم أسارى إلى بلادهم(أي إلي بلاد المسيحيين) وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس) [٢].

وكان ملوك الطوائف لا يتورعون عن أي وسيلة يرون أنها تزيد من كسبهم المادي أو تعينهم على تحقيق مصالحهم السياسية، فعلي بن حمود فرض على أهل قرطبة أنواعاً كثيرة من الضرائب، كما أنتزع السلاح منهم، أما منذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة فقد كان مؤثراً لشهواته، غير متردد في قضاء لذاته، كان متهالكاً على حب الدنيا، وكان بعض ملوك الطوائف لا يتورعون عن التنازل عن المدن التي يحكمونها مقابل الحصول على المال، ومن ذلك ما قام به عبد العزيز البكري حاكم شلطيش [٣] حينما حاصره ابن عباد بها، فاتفق معه على أن يبيعه سفنه وأثقاله بعشرة آلاف مثقال، ثم لجأ إلى حاكم قرطبة في كنف ابن جهور مستأمنا على الأنفس والأموال، وبذلك سيطر ابن عباد على شلطيش التي باعها زعيمها مقابل المال بدون قتال، أما بني ذي النون وبني هود فقد استمر الصراع بينهم من أجل غايات التوسع في الملك، وكانت العلاقة بين بني الأفطس وبين بني عباد سيئة بسبب التنافس على المصالح الذاتية ، وقد وقعت بينهما مصادمات عديدة بسبب نزاعهما حول مدينة لبلة [٤] التي تقع على الحدود بينهما [٥].

(١) منيرة عبد الرحمن، الكوارث الطبيعية والبشرية في الأندلس في القرن الخامس الهجري، مجلة الجامعة التاريخية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، العدد ٢٨، ص٢٧.

(٢) ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري) ، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ج٢، ص٩٧.

(٣) شلطيش: بلدة صغيرة بالأندلس، تقع في غرب إشبيلية على البحر. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٩.

(٤) لبلة: مدينة قديمة تقع في غرب الأندلس وتعرف بالحمراء، وسور لبلة قد عقد على أربعة تماثيل. انظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت، ١٩٨٠م، ج١، ص٥٠٧.

(٥) أحمد بن صالح السحيباني، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم: عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص١٠٤-١١٢.

ويمكن تقسيم فترة القرن الخامس إلى أربع فترات كالتالي:

الفترة الأولي: ٤٠١ه/١٠١٣م إلى ٤٢٥ه/١٠٣٤م وهي الفترة التي تم التركيز فيها على الصراع على منصب الخلافة وانتهي حكم بني أمية وبدأ ظهور دول الطوائف.

الفترة الثانية: ٤٢٦ ه/١٠٣٥م إلى ٤٥٠ه/١٠٥٨م وهي الفترة التي استقلت فيها دول الطوائف وظهر صراع الملوك لتوسيع نفوذهم على حساب بعضهم البعض.

الفترة الثالثة: ٤٥١ه/١٠٥٩م إلى ٤٧٥ه/١٠٨٢م وهي الفترة التي زاد فيها تهديد النصارى للمسلمين وظهر فيها تفوق قوتهم العسكرية ونفوذهم على المسلمين.

الفترة الرابعة: ٤٧٦ه/١٠٨٣م إلى ٥٠٠ه/١١٠٦م وهي فترة المرابطون في الأندلس والقضاء على حكم ملوك الطوائف [١].

هكذا كان واقع مُلك الطوائف السياسي، فالراضي منهم كان يضمر طموح التوسع في الملك، والساخط ينوي الانتقام والثأر، مما أشعل الحرب بينهم وأدام نشوب المعارك لسنوات دون غاية نبيلة أو هدف سام.

ثانياً: الأوضاع الاجتماعية في عصر ملوك الطوائف:

كان المجتمع الأندلسي بعد الفتح الإسلامي مؤلفاً من عدة عناصر بشرية، كل عنصر له خصائصه التي تأثرت بحالة الفتن والفوضى التي سادت البلاد في عصر ملوك الطوائف، وهذه العناصر كما يلي:

أولاً: العرب: قدم العرب إلى بلاد الأندلس في صورة فاتحين ولعل أول مجموعة كبيرة وطئت أقدامها أراضي الأندلس هي الجيش الفاتح للأندلس الذي قدم مع موسى بن نصير في عام ٩٣ه/٧١٢م، وقد كان العرب في بداية الفتح قليلين مقارنة بالعناصر الأخرى، ثم بسبب الاستيطان والتكاثر، بدأت أعدادهم تتكاثر وتنتشر في جميع أنحاء شبه الجزيرة الأندلسية، وبدأت الهجرة العربية الواحدة تلو الأخرى بعد الفتح الإسلامي تمنح الأرض لهم، وقد كان لدى العرب شعور قوي بالنبل وينبع هذا الشعور من انتصارهم على الأسبان والبربر، واندماجهم في الإسلام، وتفوق لغتهم على الآخرين، فهي لغة القرآن الكريم، وربما كان هذا الشعور بالتعالي عند العرب هو ما دفع البربر أحياناً إلى مقاومتهم .

(١) سالم السيد عبد العزيز، تاريخ مدينة المرية الإسلامية: قاعدة الأسطول الأندلسي، مؤسسة شهاب الجامعة للطباعة، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص٩٨.

و من أهم المناطق التي نزلت بها القبائل العربية بلنسية [١]. وقد استقرت فيها قبيلة معافر اليمنية ومنهم بنو جحاف، كما نزل بنو زهرة بإشبيلية ، أما بنو عباد وبنو حزم وبنو رشيق فقد توزعوا بين إشبيلية وغرناطة، كما نزل بنو هود بشرق الأندلس، وقد انحصر التوزيع الجغرافي للقبائل العربية في المناطق ذات الأرض الخصبة والأنهار ومواطن التجارة [٢].

ثانياً: البربر: بدأت هجرة البربر إلى الأندلس مع انطلاق عملية الفتح تحت قيادة طارق بن زياد [٣]، ويشترك البربر مع العرب في البدو والإسلام والشجاعة، وفي بادئ الأمر كان البربر أكثر عدداً من العرب، وكان تدفق هجرتهم مرتبطا بحكم الدول المجاورة، وقد تأثرت المجموعات البربرية التي استقرت في الأندلس بشكل كبير بالبيئة الجديدة، فاتخذوا من البلد الجديد موطناً له .. وكانت رغبة البربر في الجهاد ونشر الإسلام كبيرة جداً، حيث استقروا في المناطق الشمالية المواجهة لبلاد النصارى، كما أن غنى بلاد الأندلس وكثرة ثرواتها دفعهم إلى الهجرة إليها لتحسين أوضاعهم المعيشية فضلاً عن قرب الأندلس من بلادهم الأصلية مما يحقق لهم سهولة الانتقال إليها . وقد استقر البربر في شذونة وموورور وإشبيلية وأستجه وقرطبة ومرسية وشاطبة . ولا بد من القول أن البربر عانوا الأمرين في فترة الفتنة وظهور أزمة الخلافة التي أحدثت ارتجاجاً كبيراً في المجتمع الأندلسي مما أدى إلى تشتتهم حتى مجيء المستعين الذي قسم الأندلس على زعماء البربر [٤].

ثالثا: الصقالبة: ويعود ظهور هذا العنصر إلي أوائل القرن الرابع الميلادي، وعندما شكل الخليفة عبد الرحمن الناصر جيشاً من المماليك لترسيخ سلطته جاء بهم . والصقالبة هم ولد صقلب بن لنطي الذي يعود نسبه إلى مار بن يافث بن نوح، وفي الأندلس كانت كلمة الصقالبة تطلق على الأسرى ، ولكن بمرور الزمن أطلقت على الأجانب الذين يخدمون في القصر والبطانة، حيث كان الصقالبة مزيجاً من النصارى الأسبان والفرنسيين والألمان والإيطاليين، وقد جاء هؤلاء الصقالبة أطفالاً ، ثم كانوا ينشؤون تنشئة خاصة فيتعلمون العربية والفروسية، حيث استخدموا في الجيش لإخماد الثورات

(١) بلنسية: مدينة مشهورة بالأندلس، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة، وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار، وتعرف بمدينة التراب. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٩٠.

(٢) شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص٢٩٠-٢٩٥.

(٣) ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) ت٦٣٠ه/١٢٣٢م، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص٤٦٦.

(٤) عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس وموقفهم من فقتة القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص٥٠-٥٢.

والحروب مع النصارى .. ولأنهم كانوا يربون منذ طفولتهم في قصور الحكام، فنراهم قد اهتموا بمظهر لباسهم وبمستواهم الثقافي، وقد استطاع بعضهم تحقيق ثروات طائلة وتأسيس دولة كمجاهد العامري [١].

رابعاً: المولدون: هم العناصر الناتجة عن تزاوج العرب والبربر أو العرب والإسبان، وفي هذه العناصر تظهر هذه الازدواجية التي بين العرب والبربر، أو بين العرب والإسبان، وتأتي ولادة هذا الجيل الجديد على غرار ما حدث من التزاوج بين العرب والفرس في العصر الشرقي ، وقد لقب هذا الجيل بالمولدين وذلك حتى القرن الثالث الهجري، ثم اختفى هذا المُسمي وتلاشي بسبب اختلاط الناس **وتحول شعوب بلاد الأندلس الإسلامية** ، ومن ثمَّ فإن هذه الفئة هي نتاج تزاوج المسلمين عرباً كانوا أو بربر مع نساء الأسبان، وتعد غرناطة وإشبيلية وطليطلة وقرطبة من أهم مراكز المولدين [٢].

خامساً: أهل الذمة: وينقسمون إلى النصارى المستعربة واليهود، أما النصارى المستعربة فهم نصارى الأسبان الذين احتكوا بالمسلمين وتكلموا العربية مع احتفاظهم بدينهم وقوانينهم القوطية تحت سلطة الأساقفة وأمراء النصارى، وكانوا يدفعون الجزية، وفي عصر ملوك الطوائف حظيت هذه الطائفة بالمزيد من الحرية ولم تتعرض كنائسهم وأديرتهم لسوء أثناء الفتنة، وقد توزعوا بين المدن والريف، وكان هناك قرى كاملة يقطنها النصارى، وفي المدن كانوا يختلطون بالسكان وأحياناً كانت لهم أحياء مستقلة داخل المدينة وقد سهل ذلك عملية تحصيل الجزية منهم [٣].

أما القسم الثاني من أهل الذمة وهم اليهود فقد بلغ عددهم زمن الفتح الإسلامي للأندلس ما يقارب مائة ألف يهودي، وقبل الإسلام عانوا من الذل والمهانة على أيدي القوط حتى أنهم حرموا من ممارسة شعائرهم الدينية، ويرجع بعض الباحثين أوضاع اليهود في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي في أنها كانت سببا في اتصالهم بالمسلمين ومعاونتهم لهم في فتح الأندلس [٤]، وكان اليهود يسكنون في معظم مدن الأندلس على هيئة تجمعات منعزلة في الأرباض الخاصة بهم، وقد كانت أحيائهم في المدن بعيدة عن الشوارع الرئيسية، فشوارعهم ضيقة مزودة بمداخل تغلق ليلاً .. وقد مارسوا شعائرهم الدينية ونعموا بالأمن مقابل الجزية، وكانت لهم مؤسسات قضائية وإدارية تهتم بحل

(١) محمد عبد الله عنان، تراجم شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٩٢؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م، ج٢، ص٢٤٤.

(٢) سحر السيد عبد العزيز سالم، الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٥م، ص٤٧، ٤٨.

(٣) عبلة كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٠١-١٠٥.

(٤) شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الحياة، بيروت، ١٩٧٣م، ص٢٦٨.

المنازعات الخاصة بهم، وقد انشغل اليهود بالتجارة كثيرا وكانوا من ذوي المال، كما اهتموا بالسياسة وشغلوا مناصب كبيرة في الممالك الإسلامية مثل إسماعيل بن النغريلة في عهد الطوائف بغرناطة (١).

ومما سبق يتضح لنا أن المجتمع الأندلسي تكون من تركيبات عرقية مختلفة، أعطت باختلاف أصولها وأديانها للمجتمع الأندلسي صفات خاصة قلما نجدها في مجتمع آخر، مما كان يحتم على حكومات ملوك الطوائف بذل مجهودات كبيرة لضبط الأمور وتحقيق الانسجام فيما بينها.

وعلي مستوىً آخر فقد تكون المجتمع الأندلسي من ثلاثة طبقات: طبقة ارستقراطية تميزت بحيازة الثروة والحكم، وطبقة العامة وتشمل الطبقة الوسطى من التجار وأصحاب الحرف والأعمال وموظفي الدولة ومعهم الطبقة السفلى من الفلاحين وأصحاب المهن البسيطة وقد عانت هذه الطبقة من الضرائب الباهظة والدخل القليل، أما الطبقة الثالثة فكانت من العبيد الذين يقومون بمهام الخدمات المنزلية كالطبخ والسقاء والغزل وجمع الحطب للتدفئة وخدمة الدواب والقيام بشؤونها . وفي عصر ملوك الطوائف تدهورت الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وانتشر الفقر والظلم ، وأُرهق الناس من الضرائب الباهظة ، مما نتج عنه انتشار ظواهر سلبية في المجتمع الأندلسي كالتسول ، والسرقة (٢).

وفي الوقت الذي كان يعاني فيه طبقة العامة من الفقر وقلة الأرزاق وصعوبة الحصول على القوت كانت طبقة الحكام والأغنياء منغمسين في حياة الترف والخلاعة والملذات، فضلاً عن انتشار الكثير من الانحرافات الخُلقية بينهم مثل شرب الخمر والإكثار من الجواري والنساء، وكان هذا عاملاً مشتركاً بين معظم ملوك الطوائف، ومما لا شك فيه إن وجود مثل هذه الأمراض الخلقية تعد من أبرز أسباب انهيار الأمم، لقوله تعالى:﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾(٣)، ويذكر ابن حيان أن قرطبة في عهد ملوك الطوائف صارت مرتعاً خصباً لمزاولة الرذيلة، وكان ملوك الطوائف إذا رغبوا في شيء من الملهيات يرسلون رسلهم إلى قرطبة، ومن هذا أن المظفر ابن الأفطس أرسل رسول إلى الوليد بن جهور في قرطبة في عام ٤٤٢هـ/١٠٥٠م ليشتري له وصائف ملهيات يأنس بهن، وقد اشتهر

(١) ابن حزم، الرد على ابن النغريلة اليهودي، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١٠-١٢.
(٢) شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٤، ص١٢٨.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

المعتمد بن عباد بأنه كان مولعاً بالنساء والجواري، يقول ابن الأبار: (كان ذا كلف بالنساء فاستوسع في اتخاذهن وخلط في أجناسهن فانتهى في ذلك إلى مدى لم يبلغه أحد من نظرائه، ... وقال غير ابن حيان افتض ثمانمائة بكر) (١).

أما شرب الخمر في دول ملوك الطوائف فلم يكن منكراً ، وقد ذكرت المصادر أن إشبيلية كانت لا تخلو من جميع أدوات الطرب، وقد تغنى شعراء هذا العصر بحب الخمر فقال أحدهم:

جرت مني الخمر مجرى دمي فجل حياتي من يكرها (٢).

ومما سبق يتضح لنا البعد الشاسع الذي كان يفصل بين طبقات المجتمع الأندلسي، فملوك الطوائف ساهموا بساستهم في تعفن الوضع الاجتماعي بالأندلس، لذلك لقى يوسف بن تاشفين دعماً كبيراً من العامة في قضائه على نظام الطوائف.

ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية في عصر ملوك الطوائف:

إذا كان عهدي الأمويين وبني عامر يتصفون بالازدهار، فإن عصر دولة ملوك الطوائف يتسم بالركود الاقتصادي المستمر، وإذا نظرنا إليه من منظور أوسع، فإن الإطار العام لنظام الدولة الطائفية نفسه يتميز بخصائص الهشاشة الاقتصادية والسياسية، كما أن عدم وجود سياسات اقتصادية معقولة من قبل الدول الطائفية شكل تهديدا مستمرا لكل منها، إضافة للصراعات السياسية الداخلية والحروب المستمرة بينهم كل هذا أدي إلى زيادة الهشاشة المالية والركود الاقتصادي الداخلي، وبالتالي فإن الأوضاع السياسية غير المستقرة جعلت القرارات السياسة الاقتصادية طويلة الأجل مستحيلة ، ولهذا كان من المستحيل الحفاظ على التنمية الاقتصادية في هذه الممالك (٣).

وقد أدت هذه الأوضاع إلى انتشار القلق في الأسواق والركود في الحياة الصناعية والتجارية، لهذا يمكن القول أنّ الحالة الاقتصادية العامة لمسلمي الأندلس كانت بالغة السوء فقد كانت الأسواق تظل خالية من الناس ومن البضائع فترات طويلة في أوقات المعارك التي تقع بين ملوك الطوائف ، ومن هذا ما حدث في عام ٤٤٢هـ/١٠٥٠م حيث وقعت معركة بين ابن عباد وبني الأفطس، وقد قتل ابن عباد فيها ما يزيد عن ثلاثة آلاف رجل من بني الأفطس ، وظلت بطليوس خالية الأسواق (٤).

(١) ابن الأبار (محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي) ت: ٦٥٨هـ، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ج٢، ص٤٣.

(٢) أحمد بن صالح السحيباني، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم، ص١٥١.

(٣) محمود علي مكي، تاريخ الأندلس السياسي: دراسة شاملة في الحضارة العربية الإسلامية في الاندلس، ص٨٨.

(٤) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص٨١.

ومن الجدير بالذكر أنه خلال عصر ملوك الطوائف لم توجد عملة فضية تسمى الدراهم، إذ كانت العملة المتداولة إما من الفضة الرديئة أو من النحاس، وهذا دليل قوي على النكسة الاقتصادية التي عاشها المسلمون في عصر ملوك الطوائف، وقد ذكر في المصادر التاريخية أن أهل قرطبة من العامة قد اضطرتهم الفتنة إلى بيع ما كان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب، وسائر المتاع، فبيع ذلك بأبخس الأثمان، وقد ساعد على اضمحلال الحياة الاقتصادية في هذا العصر تسلط النصارى في حروب المسلمين، تلك الحروب التي دامت عشرات السنين أكلت خلالها الأخضر واليابس، فضلاً عن تسلط كثير من الحكام والوزراء على أموال الناس واستيلائهم عليها بشتى الوسائل، كما فعل مظفر العامري الذي فرض الضرائب الباهظة على الرعية ، حتى تساقطت الرعية ورحلت عن الأندلس إلى بلاد أخرى، ومن الوزراء الذين أساءوا استعمال السلطة الوزير ابن السقاء الذي اتبع سياسة حمقاء في جمع الأموال من الناس(١).

ولم يكن هذا السلوك خاصاً بابن السقاء فقد شاركه فيه الكثير مثل أبو محمد البطليوسي الذي وصفه ابن بسام بأنه: (أحد عفاريت الضلال وآكلة الأموال، من أجرأ خلق الله على دم، وهو أجبن من صافر، وأجسرهم على ركوب ثبج محرم، وهو أضعف من لحظ فاتر، نبهت تلك الفتنة على قدره، ورفع عدم الرجال صوته بذكره، فهبت ريحه شمالاً وصبا، واتخذ سبيله في البر والبحر عجبا، فعرض عليهم بصاحبه المتوكل عمر بن المظفر ابن الأفطس) (٢)،

ويقابل هذا الحرص الشديد من ملوك الطوائف ووزرائهم على جمع المال أنهم كانوا يحيطون أموالهم بالبخل الشديد مما ساهم في اضمحلال الاقتصاد بشكل كبير، وقد دفعت تلك المعاناة الاقتصادية الناس إلى الثورات والفتن، ومن هذا موقف أهل طليطلة من القادر بن ذي النون حيث قاموا ضده بثوره عارمة في عام ٤٧٢هـ/١٠٧٩م وذلك حينما بالغ في فرض الضرائب عليهم، وقد نتج عن تلك الثورة هروبه إلى حصن وبذة ، وإذا كان الناس يلاقون تلك المعاناة في فترات السلم ، فلنا أن نتخيل أحوالهم المعيشية في أوقات الحروب والصراعات .. فحين تحاصر المدن والثغور من قبل الأعداء سواء كانوا من النصارى أو من الممالك الإسلامية المجاورة الراغبة في التوسع فإنه يعظم

(١) أحمد بن صالح السحيباني، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم: عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص٢٣٠-٢٣٦.

(٢) ابن بسام (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني) ت: ٥٤٢هـ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٩م، ج٧، ص١٥٩.

البلاء ويتضاعف الغلاء ويستوي في عدم إيجاد القوت والغذاء الفقراء والأغنياء، وقد تجاوزت هذه المعاناة طائفة الفقراء لتنال طائفة العلماء والمفكرين [١].

أما الأوقات التي ساد فيها الاستقرار النسبي فقد شهدت نشاطاً في مختلف الجوانب الزراعية والصناعية والتجارية، ففي مجال الزراعة: انتشرت المزروعات في أرجاء الأندلس حتى أنها كادت تحجب أشعة الشمس في بعض النواحي نظراً لكثافتها وتشابك أغصانها، وقد أتقن الأندلسيون إقامة الجسور والقناطر وتنظيم الري، فغدت الزراعة عصب الاقتصاد في دولة ملوك الطوائف [٢]، أما مجال الصناعة فقد أقام أهل الأندلس صناعات تعتمد على المنتجات الزراعية والحيوانية كالغزل والنسيج وصناعة الأقمشة واستخراج الزيوت وصناعة السفن والمراكب فضلاً عن النحت والصباغة والزجاج، أما في الجانب التجاري فقد شهد نشاطاً كبيراً في التبادل التجاري بين الأندلس وأوروبا وبين الأندلس ودول المشرق العربي مثل بلاد الشام ومصر والعراق إلى جانب ازدهار التجارة الداخلية بين الممالك الأندلسية، ولكن سرعان ما كانت تنشب الحروب والفتن وتسوء الأحوال الاقتصادية، وقد ظلت الأوضاع بهذا الحال بين الازدهار في حالات الاستقرار النسبي للأحوال السياسية ،والاضمحلال عند نشوب الحروب والاضطرابات حتى جاءت دولة المرابطون وكتبوا تاريخاً جديداً لهذه البلاد [٣].

مفهوم التسول:

التسول لغة: من مادة سأل، السين والهمزة واللام كلمة واحدة، يقال سأل يسأل سؤالا ومسألة [٤]، وتسول فلان أي شحذ وطلب العطية والإحسان، وسأله الشيء أي طلب منه أن يعطيه إياه [٥]، ومنه قوله تعالى:﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾[٦]، ويقال سألته الشيء وسألته عن الشيء سؤالا ومسألة، ورجل سؤلة أي كثير السؤال [٧].

(١) أحمد بن صالح السحيباني، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم: عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص٢٣٨.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج١، ص٥٩.

(٣) شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٣، ص٣٧٤؛ الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي) ت٥٦٠ه/١١٦٥م، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص٢٣٩.

(٤) ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي) ت: ٣٩٥ه، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ج٣، ص١٢٤.

(٥) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ج٢، ص١١٣٩.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٧) ابن منظر (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م، ج٧، ص٩٨.

التسول اصطلاحاً:

لم يرد في كتب الاصطلاحات القديمة تعريف لمفهوم التسول، وقد تناولت ذلك المؤلفات الحديثة، ومنها: (التسول هو طلب الصدقة من الأفراد في الطرق العامة، والمتسول: الشخص الذي يتعيش من التسول، ويجعل منه حرفة له ومصدراً وصيداً للرزق) [١]، وجاء في التعريفات: (السؤال: أنه طلب الأدنى من الأعلى) [٢]، وجاء في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: (التسول: طلب الصدقة من الأفراد في الطرق العامة، ويعتبر التسول في بعض البلاد جنحة يعاقب عليها إذا كان المتسول صحيح البدن، أو هدد المتسول منه أو إذا دخل في مسكن دون استئذان) [٣].

أما **حكم التسول** فيقول ابن القيم: (والمسألة في الأصل حرام، وإنما أبيحت للحاجة والضرورة؛ لأنها ظلم في حق الربوبية، وظلم في حق المسؤول، وظلم في حق السائل)[٤]، وتعد ظلم في حق الله–تعالى–؛ لأنه بذل سؤاله وفقره وذله واستعطاءه لغير الله، وذلك نوع من العبودية، وأما ظلمه للمسؤول؛ لأنه سأله ما ليس عنده، فأوجب له بسؤاله عليه حقا لم يكن له عليه. وعرضه لمشقة البذل، أو لوم المنع، فإن أعطاه، أعطاه على كراهة، وإن منعه، منعه على استحياء، وأما ظلمه لنفسه؛ لأنه أراق ماء وجهه وذل لغير خالقه [٥].

وقد اتفق جمهور الفقهاء على أن المسألة حرام على كل من قوي على الكسب، وهي مباحة لمن هو فقير لا يقدر على الكسب مقدار ما يقيم قوته [٦]، وقد قال النبي– صلى الله عليه وسلم–: (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم) [٧]، وقال أيضاً: (من يكفل لي ألا يسأل الناس شيئا وأتكفل له بالجنة، فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل أحدا شيئاً) [٨].

---

(١) إبراهيم بن رشاد الفقي، التسول أسبابه وعلاجه، دار اللؤلؤة، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٩.

(٢) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٢٣.

(٣) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، القاهرة، بدون تاريخ، ص٣٧.

(٤) محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ط٣، ج٢، ص٢٢٢.

(٥) إبراهيم بن رشاد الفقي، التسول أسبابه وعلاجه، ص١٢.

(٦) ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري) ت: ٤٥٦ه، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٥٥.

(٧) البخاري (محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي) صحيح البخاري، دار بن كثير، بيروت، ١٩٩٣م، كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثرا، ج٢، ص٥٣٧، رقم الحديث: ١٤٠٥.

(٨) سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي أبي داوود، سنن أبي داوود، المكتبة العصرية، القاهرة، بدون تاريخ، كتاب الزكاة، باب: كراهية المسألة، ج٢، ص١٢١، رقم الحديث: ١٦٤٣.

أسباب التسول:

تتمثل أسباب التسول فيما يلي:

١. انتشار البطالة وقلة مصادر الرزق، مما يدفع المحتاجين إلى التسول لكسب قوتهم اليومي [١].

٢. الطمع الشديد والحب الزائد للمال، فعن أنس بن مالك أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب) [٢].

٣. تكبر السائل عن العمل وتكاسله وعدم سعيه في طلب الرزق، وقد أمرنا الإسلام بالسعي في طلب الرزق والتوكل على الله، لقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا، وتروح بطاناً) [٣]، ويخبرنا الحديث الشريف أن الطير يتوكل على الله في رزقه فيخرج طالبا له في أول النهار وبطونه خامرة من الجوع وترجع آخر النهار بطاناً أي ممتلئة البطون.

٤. الإسراف وعدم الاقتصاد في المعيشة والمتطلبات الزائدة في الحياة، وقد حثا الله-عز وجل-على الاقتصاد في العيش والتوسط فيه فقال تعالى:﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾[٤].

٥. النظر إلى ما في أيدي المترفين وما هم فيه من نعم، فالواجب علينا أن ننظر إلى من هم أقل منا في المال حتى لا نستقل ما في أيدينا، لقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه) [٥].

٦. عدم وجود الوازع الديني لمساعدة الفقراء والمحتاجين في إيجاد فرص عمل تتيح لهم الكسب المشروع من غير تسول، كما أن التفكك الأسري يؤثر بشكل كبير في انتشار التسول بين الأطفال، فعندما يتعرض الطفل للمعاملة السيئة من قبل والدية وعدم تلبيتهم لمتطلباته الأساسية يلجأ إلى التسول لكسب المال وتلبية احتياجاته.

---

(١) إبراهيم بن رشاد الفقي، التسول أسبابه وعلاجه، ص٥٦.

(٢) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، شرح النووي على مسلم، دار خير، القاهرة، ١٩٩٦م، كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا، ج٧، ص١١٣.

(٣) أحمد بن حجر العسقلاني، هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة، تحقيق: علي بن حسن، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٢٢ه، ص٥٢٢٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب لينظر إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلى من هو فوقه، ج٥، ص٢٣٨٠.

٧. بخل الأغنياء ومنعهم الزكاة، فمانع الزكاة يتسبب في تشريد أسر المسلمين وضياع حقوقهم التي شرعها الله لهم، فما جاع الفقراء إلا ببخل الأغنياء [١].

أثر التسول على المجتمع:

يوجد لظاهرة التسول الكثير من الآثار السلبية على المجتمع، ومنها: انتشار السلوكيات غير الأخلاقية بين أفراد المجتمع وانتشار الجرائم ، لأن المتسولين يكونون أكثر عرضة للاستجابة للمغريات المادية بسبب حاجتهم للمال أو طمعهم في ادخار الكثير منه . فضلاً عن أن التسول تصاحبه ظاهرة التشرد بين المتسولين، وغالباً ما يكون من يمارسوا أعمال التسول ليس لديهم مأوى، فيلجئون إلى الشوارع للنوم، وهذا السلوك يشكل مظهر غير حضاري لأي أمة متحضرة ، ، كما يسبب التسول انتشار الأمراض المعدية للآخرين نتيجة احتكاك المتسولين بالآخرين في الأماكن العامة [٢].

يعد التسول من أكثر الوسائل المؤدية إلى الزنى، حيث يستغل ضعاف النفوس من أصحاب الأموال حاجة المتسولين للمال لإرضاء غرائزهم الدنيئة، ويستدل على هذا من حديث الثلاثة الذين أغلق عليهم الغار ودعوا الله بصالح أعمالهم، وكان منهم رجل قد راود ابنة عمه عن نفسها مقابل حاجتها للمال، ولولا أن أدركته خشيته من الله–عز وجل–لكان من مرتكبي الزنا [٣].

انتشار ظاهرة التسول في المجتمعات يساهم في ارتفاع نسبة البطالة بها وضعف الاقتصاد، حيث يسلك المواطنين سبيل التسول للحصول على احتياجاتهم اليومية دون تعب أو مشقة العمل، فالتسول أسهل الطرق للحصول على المال، وقد يتمكن بعض المتسولين من جمع الكثير من المال ويدخره عنده، دون الاهتمام بالاستفادة منها في إنشاء مشاريع تفيد البلد وتوفر فرص عمل للعاطلين، ويؤدي هذا إلى تعطيل حركة التنمية الاقتصادية في أي مجتمع من المجتمعات [٤].

مفهوم السرقة:

السرقة لغة: السين والراء والقاف أصل يدل على أخذ شيء في خفاء وستر، ويقال سرق يسرق سرقة، واسترق السمع إذا تسمع مختفيا [٥]، ومنه قوله تعالى:﴿

(١) إبراهيم بن رشاد الفقي، التسول أسبابه وعلاجه، ص٧٣.

(٢) نبراس طه خماس، دراسة ميدانية لأسباب التسول، الجامعة المستنصرية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، بغداد، ٢٠١٦م، ص١٤، ١٥.

(٣) احمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، بيروت: ١٩٨٦م، كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره فعمل فيه المستأجر، ج٤، ص٥٢٥.

(٤) رمزي زكي، الاقتصاد السياسي للبطالة، دار عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨، ص٤٣، ٤٤.

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص١٥٤.

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[١]، والسارق عند العرب من جاء مستترا إلى حرز فأخذ منه ما ليس له، والانسراق: أن يخنس إنسان عن قوم ليذهب [٢].

السرقة اصطلاحاً:

عرفت السرقة في كتب الفقه على إنها: (هي أخذ مال الغير من حرز المثل على الخفية والاستتار، ومنه استراق السمع ومسارقة النظر إذا كان يستخفي بذلك) [٣]، وعرفها أخر على أنها: (أخذ مكلفاً مالاً محترماً لغيره نصاباً أخرجه من حرزه خفية، ولا شبهة له فيه) [٤].

حكم السرقة:

اتفق جمهور الفقهاء على أن السرقة موجبة للقطع بالكتاب والسنة والإجماع، لقوله تعالى:﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾[٥]، وقول النبي–صلى الله عليه وسلم–: (إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) [٦].

وللقطع شروط منها ما هو مختص بالسارق: فيشترط أن يكون بالغاً، عاقلاً، مختاراً سواء كان مسلما أو ذمياً، ومنها ما هو مختص بالمال المسروق: فيشترط أن يكون محرزاً، أي داخل مكان معد لحفظه مثل الخزنة أو الدار أو الإصطبل، ويشترط في المال المسوق أيضاً أن يبلغ نصاباً وهو ربع دينار من الذهب الخالص، فلا قطع لليد دونه، لقول النبي–صلى الله عليه وسلم–: (لا تقطع اليد إلا في ربع دينار فصاعداً) [٧]، ويثبت حد السرقة بإقرار السارق أو بشهادة عدلين [٨]، وقد اتفق جمهور الفقهاء في حالة تكرار السرقة، على أن السارق تقطع يده اليمنى في السرقة الأولى، فإذا سرق ثانية تقطع رجله اليسرى، واختلفوا في قطع اليد اليسرى في السرقة الثالثة، والرجل اليمنى في السرقة الرابعة، فقال الحنفية والحنابلة: لا يقطع السارق أصلاً بعد اليد اليمنى والرجل اليسرى، ولكنه يعزر ويحبس حتى يتوب، وقال المالكية والشافعية: إن سرق مرة ثالثة تقطع يده اليسرى، ثم إن سرق رابعة قطعت رجله اليمنى، ثم يعزر؛ لأن فعله

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٢) ابن منظر، لسان العرب، ج٧، ص١٧٥.

(٣) وهبة بن مصطفى الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط٤، بدون تاريخ، ج٧، ص٥٤٢٢.

(٤) محمد بن أحمد بن محمد عليش، منح الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م، ج٩، ص٢٩١.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، ج٦، ص٢٤٩١.

(٧) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب قول الله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما، ج٦، ص٢٤٩٢.

(٨)سعيد يوسف محمود أبو عزيز، الفقه الميسر وأدلته من القرآن والسنة، المكتبة التوقيفية، القاهرة، بدون تاريخ، ص٣٦٤.

معصية ليس فيها حد ولا كفارة [١]، وقد اتفق جمهور الفقهاء على أن مكان القطع في اليد هو من الكوع أو مفصل الزند، ومكان القطع في الرجل من مفصل القدم [٢].

- **أسباب القيام بالسرقة:**

تحدث السرقة نتيجة عدم إشباع الحاجات اليومية المعيشية للسارق أو من يعولهم .. ومن هنا فإن قلة الأموال الكافية لتلبية الاحتياجات اليومية، سواء بسبب نقص مصادر الدخل أو عدم كفاية الدخل، أو انعدامها هو أحد الدوافع الرئيسية للسرقة .. وفي حالات لا تُعمم قد يلجأ البعض إلى السرقة من أجل الانتقام من أشخاص قد أساءوا إليهم[٣].

- **أثر السرقة على المجتمع:**

وأهمها أثر السرقة على الضحية : تتسبب السرقة في العديد من الإصابات النفسية والجسدية للمسروق، ويمكن تلخيص هذه الإصابات على النحو التالي: الشعور بعدم الأمان، أو الخوف من مغادرة المنزل أو الذهاب إلى الأماكن العامة، فقد الثقة في الناس، وقد تحدث مشاكل جسدية بسبب التعرض للسرقة .

"**ظاهرتي السرقة والتسول في عصر ملوك الطوائف**"

لقد بغض أهل الأندلس التسول كطريقة للعيش وكسب القوت إذا كان الشخص القائم بالتسول صحيحاً معافى، ويصف ذلك المقري بقوله: (وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق التي تكسل عن الكد وتحوج الوجوه للطلب في الأسواق فمستقبحة عندهم إلى نهاية، وإذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب، سبوه وأهانوه، فضلا عن أن يتصدقوا عليه، فلا تجد بالأندلس سائلا إلا أن يكون صاحب عذر) [٤]، لذلك كان من لم يوفق للعلم بالأندلس يجتهد في تعليم أي صنعة تكفل له الرزق المشروع، وكانوا أهل تدبير في المعاش وحفظ ما في أيديهم من المال خوفاً من الوقوع في التسول، لذلك قد اتهمهم البعض بالبخل، وهذا من قبل الجهل بدوافعهم النبيلة، يقول المقري: (وهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال، فلذلك قد ينسبون للبخل، ولهم مروءات على عادة بلادهم، لو فطن لها حاتم لفضل دقائقها على عظائمه)[٥].

(١) وهبة بن مصطفى الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج٧، ص٥٤٢٧.

(٢) سعيد يوسف محمود أبو عزيز، الفقه الميسر وأدلته من القرآن والسنة، ص٣٦٤، ٣٦٥.

(٣) سعود عبد العزيز الدوسري، ظاهر السرقة عند الأطفال وخطورتها على المجتمع، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، المجلد: (٩) ، أكتوبر ٢٠١٢م، ص٧٢.

(٤) شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج١، ص٢٢٠.

(٥)شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج١، ص٢٢٣، ٢٢٤.

كانت الشخصية الأندلسية تأبى السرقة والغش والخداع، لذلك قد انشغل بالحسبة[١] عندهم أهل العلم والتقوى، وقد كان لهم قوانين يتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه، وكان المحتسب يراقب بنفسه الأسواق وحالة البضائع والموازين ويعاونه مجموعة من إتباعه، وكان يدس صبياً أو جارية ليبتاع من أحد التجار ثم يراجع الوزن فإن وجده ناقصاً عزره ونهاه وإن عاد لمثلها نفاه من البلد، وتنطبق كل هذه الصفات الحميمة على الشخصية الأندلسية في كافة عصورها، باستثناء عصر ملوك الطوائف الذي ساد فيه القلق والاضطراب وعدم الاستقرار نتيجة تنازع الطوائف وكثرة الفتن والحروب [٢].

عانت فئات كثيرة من المجتمع الأندلسي في عصر ملوك الطوائف من الفقر والظلم والتعسف فكانوا يدفعون ضرائب باهظة والتي كان لها مفعول قوي في تردي أوضاعهم، لكن السلطة الحاكمة في ملوك الطوائف كانت بحاجة ماسة إلى هذه الضرائب لتسليح الجيش ودفع مرتبات الجنود وكانت هذه الضرائب ترتفع كلما زادت الفتن والحروب، وقد نتج عن هذا الفقر والظلم انتشار ظاهرتي التسول والسرقة في المجتمع الأندلسي، وكان الهدف منهما توفير القوت والهروب من آلام الجوع، وقد وصف ابن بسام حال هذه الفئات بقوله: (حتى لغدا، كثير منهم يلبسون الجلود والحصر ويأكلون البقل والحشيش، وربما أبر ذلك على القوم بعد القوم منهم فلا يقاومونه إلا بالجلاء عن مثواهم، والتخلي عن قراهم) [٣].

انتشرت ظاهرتي التسول والسرقة في المجتمع الأندلسي في البادية والمدينة على حد سواء فقد كانت نتيجة لتردي الوضع الاجتماعي والاقتصادي، وأبرز ما يميز السارق في الأندلس دهائه وحنكته المدهشة في طرق السرقة، وربما استعان بزوجته في هذه المهمة غير الشريفة، ولعل من أغرب السرقات التي نتعجب لها في عصر ملوك الطوائف هي سرقة الأكفان بعد دفن الموتى، وقد أورد هذا الزجالي في كتابه أمثال العوام في الأندلس: (وكان هذا الشخص لفقره يرتزق من سرقة الأكفان، وعندما مات أحد الأغنياء، أراد الذهاب إلى المقبرة لاستخراج كفنه ألحت أخته على أن تصحبه ولما فتحا القبر

(١) الحسبة لغة: مصدر احتساب الأجر على الله، نقول: فعلته حسبة، واحتسب فيه احتساباً، والاحتساب: طلب الأجر. والحسبة اصطلاحاً: هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله. ينظر: ابن منظر، لسان العرب، ج٤، ص١١٤؛ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ، ص٢٤٠.

(٢)شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج١، ص٢١٩.

(٣) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٥، ص١٩.

وأخرجا الميت عسر عليهما نزع الكفن، فكان لا بد من أحد أمرين: تمزيق الكفن أو فك رقبة الميت، فأقدمت الأخت على فك رقبة الميت بدون شفقة ولا خوف) [١].

ويستدل من رواية الزجالي على تدني الحالة الاقتصادية لبعض فئات المجتمع الأندلسي لدرجة جعلته قد تخلى عن إنسانيته واتصف بالوحشية من أجل الهروب من آلام الجوع، وقد ذكر الزجالي أيضاً ببعض الصفات المذمومة التي كانت منتشرة في المجتمع الأندلسي مثل الجلوس في الطرقات وتتبع عورات الناس، وقد أظهرت كل هذه المظاهر السلبية مدى تفشي التعفن الأخلاقي والاجتماعي في المجتمع الأندلسي، والذي كان نتاجاً لسياسة ملوك الطوائف الذين كانوا من أصحاب اللذات والإسراف والتباهي والانعزال عن عامة الناس [٢].

أما الحالة الأمنية في عصر ملوك الطوائف فلم تكن أحسن من سابقتها فقد تردت الأوضاع الامنية بل كانت بالغة السوء ولعل تسمية هذا العصر بأيام الفرَق أوضح دليل على ذلك، فالفرَق يعني الخوف والهول من ما وقع فيه من فتن فالعدو وخطره يهددهم جميعا والحكام مشغولون بمصالحهم وبتآمر بعضهم على بعض، إذ لم يستشعروا بالمسئولية، وفي خضم تلك الفتنة ومع غياب الوازع الديني عن أفراد المجتمع عمت الفوضى وافتقد النظام وثارت الأحقاد بين عناصر المجتمع الواحد كما ظهرت نزعة الانتقام والتشفي، وهكذا أنعدم الامن وسيطرت الفوضى وانتشر قطاع الطرق فأصبح الناس لا يأمنون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ففي الأسواق أصبحوا يخافون حينما يصهل فرس على فرص، كما استفتى الناس في قرطبة في جواز تقديم صلاة العشاء مع المغرب، وذلك خوفاً من التعرض للسرقة والنهب أثناء الذهاب لتأدية صلاة العشاء، كما صلى أهل قرطبة العيد في أحد السنوات بالجامع بدلاً عن الساحة الكبيرة خوفاً من المباغتة، ونظراً لتردي الحالة الأمنية فقد أخذ فقهاء قرطبة يصدرون الأحكام على كل من طالت غيبته بأنه هالك، هكذا كانت حالة الناس في عصر ملوك الطوائف، فعندما انعدم الوازع الديني بينهم لم يعد للوازع السلطاني إي قيمة، فتدهورت الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية وعم السلب والنهب والقتل والسرقة والتسول وأمسى الناس في مثل عصور ما قبل الإسلام [٣].

(١) يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأهلي، المغرب، بدون تاريخ، القسم الثاني، ص١٥٨.

(٢) يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، ص١٠.

(٣) أحمد بن صالح السحيباني، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم، ص٢٤٠-٢٤٤.

ينعكس الوضع السياسي لعهد ملوك الطوائف على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، وذلك بسبب انعدام عوامل الأمن الداخلي التي تضمن النمو الاقتصادي والتعايش الاجتماعي، إضافة إلى اضطهاد الرعية وانتشار القهر، فقد كانوا يقاتلون من أجل المناصب، ونتيجة لذلك انتشرت السرقة والفوضى والتسول في ذلك العصر وقد كان لهذه الظواهر السلبية آثار كثير على واقع الحياة وجوانبها، ومن الظواهر الاجتماعية التي بدت واضحة في هذا العصر: الهجرة عن المدن التي حل بها الفتن والحروب إلى بلاد العدوة المغربية ومناطق أخرى، وقد وصف هذه الهجرات الشاعر أبو عامر بن شهيد، حينما رأي ما حل بقرطبة من هجرات أهلها بسبب انتشار الفساد والفتن بها:

ما في الطلول من الأحبة مخبر فمن الذي عن حالها نستخبر

لا تسألن سوى الفراق فإنه ينبيك عنهم أنجدوا ام أغوروا

جار الزمان عليهم فتفرقوا في كل ناحية وباد الأكثر

جرت الخطوب على محل ديارهم وعليهم فتغيرت وتغيروا

فلمثل قرطبة يقل بكاء من يبكي بعين دمعها متفجرُ (١).

(١)إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م، ج١، ص١٧٨.

الخاتـــــمة

لقد تناول هذا البحث موضوعاً ذا أهمية في تاريخ الدولة الإسلامية في الأندلس، وقد توصلت إلى عدة نتائج في بحثي لظاهرتي التسول والسرقة في فترة ملوك الطوائف بالأندلس ، ويمكنني أن اذكر أهمها فيما يلي:

- تسببت سياسة ملوك الطوائف المليئة بالصراعات والفتن في اضمحلال اهتمام الحكام بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والأمنية.
- انتشرت ظاهرتي التسول والسرقة في المجتمع الأندلسي في عصر ملوك الطوائف في البادية والمدينة على حد سواء ، فقد كانت نتيجة لتردي الوضع الاجتماعي والاقتصادي في البوادي والمدن علي حد سواء .
- عانت فئات كثيرة من المجتمع الأندلسي في عصر ملوك الطوائف من الفقر والظلم وصعوبة الحصول على القوت فكانوا يدفعون ضرائب باهظة للحكام ، والتي كان لها مفعول قوي في تردي أوضاعهم، في حين كانت طبقة الحكام والأغنياء منغمسون في حياة الترف والخلاعة والملذات، فضلاً عن انتشار الكثير من الانحرافات الخلقية بينهم مثل شرب الخمر والإكثار من الجواري والنساء.
- ساعد على اضمحلال الحياة الاقتصادية في عصر ملوك الطوائف الحروب الدائمة مع النصارى، والتي دامت عشرات السنين أكلت خلالها الأخضر واليابس.

وبعد: فقد آن لي أن أضع القلم، وأستغفر الله مما زلت به القدم، وأسأل الله الكريم الذي لا إله إلا هو أن يكسو هذا البحث خلعة الإخلاص والقبول.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- **ابن الأبار** (محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي) ت: ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.
- **ابن الأثير** (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
- **الإدريسي** (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي) ت٥٦٠هـ/١١٦٥م، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.
- البخاري (محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي) ت٢٥٦هـ/٨٧٠م، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٩٣م.
- **ابن بسام** (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني) ت: ٥٤٢هـ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٩م.
- **ابن حزم** (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري) ت: ٤٥٦هـ/١١٤٧م:
  - مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، دار الكتب العلمية، بيروت.
  - الرد على ابن النغريلة اليهودي، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٩٦٠م.
  - رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.
- **الحموي** (شهاب الدين أبو عبد الله الرومي) ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- **ابن فارس** (أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي) ت: ٣٩٥هـ/١٠٠٥م، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
- **أبو الفداء** (عماد الدين إسماعيل) ت٧٣٢هـ/١٣٣١م، تقويم البلدان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- **ابن منظر** (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٣م، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م.

❖ **اليعقوبي** (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب) ت: ٢٨٤هـ/٨٩٧م، البلدان، تحقيق: محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

ثانياً: المراجع:

❖ **إبراهيم بن رشاد الفقي**، التسول أسبابه وعلاجه، دار اللؤلؤة، القاهرة، ٢٠٠٩م.

❖ **إحسان عباس**، تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م.

❖ **أحمد بن صالح السحيباني**، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم: عصر ملوك الطوائف في الأندلس، مجلة البيان، الرياض، ٢٠٠٢م.

❖ **أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني:**

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، بيروت: ١٩٨٦م.
- هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة، تحقيق: علي بن حسن، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٢٢هـ.

❖ **أحمد زكي بدوي**، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، القاهرة، بدون تاريخ.

❖ **أحمد مختار العبادي**، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ.

❖ **أحمد مختار عبد الحميد عمر**، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

❖ **أبو الحسن علي بن محمد الماوردي**، الأحكام السلطانية، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ.

❖ **خير الدين بن محمود الزركلي**، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.

❖ **رمزي زكي**، الاقتصاد السياسي للبطالة، دار عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م.

❖ **أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي**، شرح النووي على مسلم، دار خير، القاهرة، ١٩٩٦م.

❖ **سالم السيد عبد العزيز**، تاريخ مدينة المرية الإسلامية: قاعدة الأسطول الأندلسي، مؤسسة شهاب الجامعة للطباعة، الإسكندرية، ١٩٨٤م.

❖ **سحر السيد عبد العزيز سالم**، الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٥م.

❖ **سعود عبد العزيز الدوسري**، ظاهر السرقة عند الأطفال وخطورتها على المجتمع، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، المجلد: (٩)، أكتوبر ٢٠١٢م.

- **سعيد يوسف محمود أبو عزيز**، الفقه الميسر وأدلته من القرآن والسنة، المكتبة التوقيفية، القاهرة، بدون تاريخ.
- **سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي أبي داوود**، سنن أبي داوود، المكتبة العصرية، القاهرة، بدون تاريخ.
- **شكيب أرسلان**، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الحياة، بيروت، ١٩٧٣م.
- **شهاب الدين أحمد بن محمد المقري**، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.
- **عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد**، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، ١٩٨٦م.
- **عبد القادر بوباية**، البربر في الأندلس وموقفهم من فقتة القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري**، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت، ١٩٨٠م.
- **أبي عبد الله محمد ابن الخطيب**، تاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م.
- **عبلة كحيلة**، تاريخ النصارى في الأندلس، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، ١٩٩٣م.
- **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية**، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
- **محمد ابن عبود**، التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف، مطابع الشويخ تطوان، المغرب، ١٩٨٣م.
- **محمد بن أحمد بن محمد عليش**، منح الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م.
- **محمد عبد الله عنان**، تراجم شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ.
- **محمد حسن العيدروس**، العصر الأندلسي تاريخ وحضارة الأندلس: النظم الإدارية في إسبانيا الإسلامية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠١٢م.
- **محمد سهيل طقوش**، تاريخ المسلمون في الأندلس، دار النفائس، بيروت، ط٣، ٢٠١٠م.
- **محمود شيت خطاب**، قادة فتح الأندلس، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ٢٠٠٣م.

- **محمود علي مكي**، تاريخ الأندلس السياسي: دراسة شاملة في الحضارة العربية الإسلامية في الاندلس، دار الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م.
- **أبو مروان عبد الملك بن محمد ابن الكردبوس**، تاريخ الأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.
- **منيرة عبد الرحمن**، الكوارث الطبيعية والبشرية في الأندلس في القرن الخامس الهجري، مجلة الجامعة التاريخية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، العدد ٢٨.
- **نبراس طه خماس**، دراسة ميدانية لأسباب التسول، الجامعة المستنصرية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، بغداد، ٢٠١٦م.
- **وهبة بن مصطفى الزحيلي**، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط٤، بدون تاريخ.
- **يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي**، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأهلي، المغرب، بدون تاريخ.

المراجع الأجنبية:

- John tonal, Europe and the Islamic World: A History, Princeton: Princeton University press, ٢٠١٣.
- Lévi-Provençal (E.). L'Espagne musulmane au Xe siècle. Larose, Paris, ١٩٣٢.